

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٦/١٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥) ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ٢٠)

سأذكر اليوم بعض الروايات عن أسوة النبي صلى الله عليه وآله في الجود والسخاء. تُبيّن هذه الروايات كيف كان صلى الله عليه وآله يبيّن المؤمنين مرارا وتكرارا إلى هذا الأمر، وكيف كان عمله الخاص في ذلك.

يُوجّه الله تعالى في هاتين الآيتين اللتين تلوتهما- وكذلك في آيات كثيرة أخرى- إلى أداء حقوق الله وحقوق العباد، وإلى قضاء الحاجات الدينية والحاجات المادية للمحتاجين. وبناءً على هذا الأمر الإلهي، وجّه النبي صلى الله عليه وآله المؤمنين الحقيقيين إليه، بل وقدم لهم في شخصه نموذجا حيا، فأظهر من خلال أسوته الحسنة صورة عملية واقعية لتنفيذ أوامر الله تعالى. ولم يكن صلى الله عليه وآله كذلك في خلق واحدٍ فحسب، بل كانت كل لحظة من حياته صلى الله عليه وآله مطابقة للقرآن الكريم، متجسدة فيه. لذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في وصفه: "كان خلقه القرآن"، أي: كان خلقه مطابقا تماما للقرآن الكريم. فأبى خلقنا تناولناه، وجدنا النبي صلى الله عليه وآله فيه المثال الأعلى، بحيث لا يمكن أن يُقدّم مثالٌ أسمى منه أبداً.

على أية حال، كما قلت، سأقدم اليوم بعض الروايات في هذا الصدد عن خلقه صلى الله عليه وآله في الجود والسخاء. عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَدْعُو بِهَوَاءِ الدَّعَوَاتِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْكَسَلِ، وَأُرْدَلِ الْعُمْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ." (صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة)

كذلك هناك دعاء آخر بهذا الخصوص عن أنس بن مالك، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ^١، وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ."

(صحيح البخاري كتاب الدعوات)

^١ الضَّلَعُ: الاعوجاج : أي يُثَقِّلُهُ الدَّيْنُ فَيَمِيلُ عَنِ الْاِسْتِوَاءِ وَالْاِعْتِدَالِ.

كذلك نصح ﷺ المؤمنين بالإنفاق في سبيل الله وإعانة العباد، عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا تُوكِي فَيُوكِي عَلَيْكَ" أي افتحي الصرة التي فيها ثروتك، ولا تغلقي فيها، وأنفقي منها حسب الحاجة وأعيني منها الآخرين. وفي رواية أخرى قال: "أَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ." أي: إذا أنعم الله تعالى عليك بنعمة، فيجب عليك أداء حق الشكر عليها، وحق الشكر أن تساعد الآخرين، فيزيدك الله تعالى من فضله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ. وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ. وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ". (سنن الترمذی أبواب البرِّ وَالصِّلَةِ)

أي أن الله تعالى يحب الجاهل السخي أكثر من العابد البخيل.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبٌّ^٢ وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مَنَانٌ". (سنن الترمذی أبواب البرِّ وَالصِّلَةِ)

فلن يدخل الجنة أصحاب الصفات الثلاث أي الخبُّ، والبخيل، والذي يمنُّ على الناس بإحسانه كثيراً. كذلك هناك رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ غَرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ حَبٌّ لَيْمٌ". (سنن الترمذی أبواب البرِّ وَالصِّلَةِ)

ليس المراد بالمؤمن الغرّ ما يفهمه بعض الناس في لغتنا، حيث يظنونه بسيطاً أو ساذجاً أو ناقص العقل، بل المؤمن الغرّ هو المتقدم جداً في الفراسة. وفراسة المؤمن أمر ذو بال كبير، فيجب على المرء أن يحذر منها. والمقصود بالمؤمن الغرّ هنا: هو الذي يتعد عن الخصومات والمشاجرات، كريم الخلق، رحيب الصدر، محبوب لدى الناس، وجدير بالاحترام. فهذه هي علامة المؤمن الحق، وهذا معيارٌ لنا نقيس به أنفسنا ونراجعها.

وهناك رواية عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، مَالِي، (أي يقول الإنسان الثري: مالي مالي) قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟". (صحيح مسلم كتاب الرُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ)

أي أفضل المال هو ما تصدّقت به وقدمته إلى حضرة الله تعالى، وقضيت به حقوق عباده، وأنفقته في سبيله.

فهذا المال سيضعف لك في الآخرة أضعافاً كثيرة. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وذلك لأن التضحيات التي قدموها، والجود والسخاء الذي قاموا به، والمال الذي أنفقوه على الآخرين، كل ذلك سيُعاد إليهم في الآخرة بأضعاف مضاعفة.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلِطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". (البخاري، كتاب العلم)

كذلك أسدى ﷺ نصيحة في إحدى المرات كما ورد في رواية عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: "يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، (أي يمكنك أن تقضي حاجاتك مما أعطاك الله تعالى من مال، ولكن يجب أن تنفق ما زاد عن حاجاتك) وأن تمسكه شر لك، ولا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ (أي لن تُسأل عما أمسكته لقضاء حاجة ما)، وأبدأ بمن تعول، (أي أنت أحق بأداء مسؤولياتك تجاه أولادك وأهلك والفقراء من أقاربك أو الذين تعولهم، فإنهم أولى بأن تنفق عليهم من مالك، ثم قال:) وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى". (صحيح مسلم كتاب الزكاة)

قال عبد الله: قال النبي ﷺ: "أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟". (أي أيكم يقول بأن ما يتركه من ماله لوارثه أحب إليه مما أمسكه أو أنفقه على نفسه؟) قالوا: يا رسول الله، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، (أي المال الموجود بحوزتنا هو أحب إلينا) قَالَ ﷺ: "فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ". (صحيح البخاري، كتاب الرقاق)

ما قدمه للأمام وأنفقه في سبيل الله، وفي مساعدة الفقراء، ذلك المال هو الأفضل. وسيؤجر عليه في الآخرة. وهذا ما قال الله تعالى في القرآن الكريم.

أما أسوة النبي ﷺ الشخصية في الإنفاق الكريم بلا حساب في سبيل الله والتوكل عليه ﷺ، فيروي عن ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صُبْرٌ^٣ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَخْرَتُهُ لَكَ وَلِضَيْفَانِكَ، قَالَ: "أَمَا تَخْشَى أَنْ يَفُوزَ لَهَا بَحَارٌ مِنْ جَهَنَّمَ". ثم قال ﷺ لبلال ناصحا: "أَنْفِقْ يَا بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَاحًا". (المعجم الكبير للطبراني، جزء ١)

ثم هناك مثال آخر عن أسوة النبي ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً وَوَزَعُوا لِحْمَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَأَبْقَوْا شَيْئًا مِنْهُ فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. قَالَ ﷺ: "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا". (سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله) لأن الكتف لم تُنْفَقْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْقَيْتُمُوهَا لِتَأْكُلَهَا، أَمَا فِي الْآخِرَةِ فَلَنْ يَنْفَعَنَا إِلَّا مَا أَنْفَقْنَا.

قال معاوية خطيباً: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "...إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي". (صحيح البخاري، كتاب العلم) كانت ميزة الجود والسخاء موجودة في ذات رسول الله ﷺ المباركة بدرجة تامة حتى قبل بعثته. وقد شهدت بذلك زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها حين نزل عليه الوحي الأول، فعاد إلى البيت يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلًّا وَاللَّهِ، مَا يُخْرِيكُ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الصَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي)

ثم جاء في رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "حَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ". (سنن الترمذي، أبواب البرِّ والصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي لا يمكن أن يكون المؤمن بخيلاً ولا سيئ الخلق. هذا أيضاً معيار لاختبار أنفسنا.

ثم أوصى النبي ﷺ اجتناب البخل. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ". (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَجْتَمِعُ عُبْرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا". (سنن النسائي، كتاب الجهاد)

كما ورد في رواية ذكرتها من قبل، أن الطماع والبخيل لا يمكنه أن يكون مؤمناً حقيقياً، فهذا هو المعيار، فمن أراد أن يكون مؤمناً حقيقياً فعليه اجتناب الطمع والجشع والبخل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكًا تَلْفًا". (صحيح البخاري، كتاب الزكاة)

أي: اللهم، مَنْ يُنْفِقُ زُدْ فِي مَالِهِ جِزَاءً لَهُ، وَمَنْ يَبْخُلُ أَتْلَفْ مَالَهُ، فَلَا بَرَكَةَ فِي مَالِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا مَا نَلَاظُهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُعْبِرُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَفِي الْآخِرَةِ لَنْ يَنْفَعَهُ هَذَا الْمَالُ شَيْئًا. وقد قال الله تعالى في موضع من كتابه ما مفاده إن الذين ينفقون في سبيل الله ومحبة له، يجزيهم الله على ذلك خيراً.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. (صحيح مسلم، كتاب الفضائل)

كذلك هناك رواية عن أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الْأَجْوَدِ الْأَجْوَدِ؟ ثُمَّ قَالَ ﷺ: اللَّهُ الْأَجْوَدُ الْأَجْوَدُ، وَأَنَا أَجْوَدُ وُلْدِ آدَمَ". (مجمع الزوائد) أي أنا أجود الناس في الدنيا.

ثم هناك رواية عن ابن عباسٍ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ)

وقد بين المصلح الموعود ﷺ هذا الأمر نفسه في خطبة له بقوله:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَصَدَّقَ بَلِغَ الْغَايَةَ فِي الْكَرَمِ، حَتَّى إِنْ الصَّحَابَةُ رَضُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ يَصْفُونَ كَرَمَهُ - وَلَا سِيَّمَا فِي رَمَضَانَ - بِأَنَّهُ كَالرِّيحِ الْعَاصِفَةِ الشَّدِيدَةِ الْمَهْبُوبِ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ كَانَ ﷺ يَعْمَلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾، أي أنه لم يكن يُنْفِقُ الْمَالَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَلَا يَضِيعُهُ فِيمَا لَا طَائِلَ مِنْهُ. فَكَانَ ﷺ كَرِيمًا،

غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِعَدَمِ التَّبْدِيرِ وَعَدَمِ إِضَاعَةِ الْمَالِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، إِذْ نَهَى اللَّهُ عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ.

أما حاتم الطائي فقد كان جوادًا، لكن جوده كان في غير موضعه؛ فرغم شهرته الواسعة بالكرم، إلا أن عطاءه لم يكن مقرونًا بالحكمة والتدبر، بل كان يجري بلا تفكير ولا روية، كما يُقال في المثل: "كرم على حساب الغير لا قيمة له". إذ لم يكن يملك مالا فلم يكن من حقه أن يوزع مال أبيه على الناس.

ويُحكى عن حاتم الطائي أنه نشأ على الكرم منذ صِغره، حتى رأى أبوه أنه يُبدد ماله، فأرسله بعيدًا ليرعى الإبل. وفي يوم من الأيام، مرَّ به ثلاثة شعراء كبار في سفرهم، فأراد أن يكرمهم، فنحر لكل واحد منهم بعيرًا. فقالوا له: نحن ثلاثة فحسب، يكفيننا بعير واحد. فأجابهم: لا، لو نحرْتُ واحدًا لأصبح الآخرون عائلةً عليه. وهكذا نحر لهم ثلاثة أبعرة من مال أبيه دون وجه حق، وما بقي من اللحم فلعله يكون قد ضاع أو وُزِعَ على بعض الناس. فاستاء أبوه جدًّا، إذ رأى ماله يُبدد على هذا النحو.

أما النبي ﷺ فكان ما يأتيه من مال ماله هو، وكان ينفقه وفق توجيهات القرآن الكريم في مواضعه المناسبة. وبهذا يتضح معنى الأحاديث التي ورد فيها الحثُّ على الإنفاق دون تردد؛ فالمراد هو الإنفاق في موضعه الصحيح، ومتى تحقق ذلك فلا ينبغي أن يتردد المرء أو يتوانى. وليس المقصود أبدًا أن ينحر المرء ثلاثة أبعرة لثلاثة ضيوف في الصحراء ثم يضيع لحمها، لأنه لا يوجد في الصحراء عدد كافٍ من الناس يأكلونه، وحتى لو صادف وجود بعضهم فلن يكونوا كثيرين، ولا شك أنه كان سيتبقى كثير من اللحم ضائعًا هدرًا. ولا فائدة منه، بل ينبغي الإنفاق بحسب المحل والمناسبة. وإن كنتم تُنفقون في سبيل الله بحسب المناسبة والظروف، فاطمئنوا، لأن الله تعالى وعد المنفقين كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

على أية حال، يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: من ناحية كان النبي ﷺ في قمة الكرم والسخاء، إذ يقول الصحابة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، ومن جهة أخرى كان يُنفق بحكمةٍ ورويةٍ.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن لي مثل جبال تامة، ذهبا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني كذوبا ولا بخيلا". (سبيل الهدى والرشاد)

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "مَا يَسْرُنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْضُدُهُ لِدَيْنٍ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ". ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: "إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (أي الأثرياء الذي يجمعون الأموال ولا ينفقونها على المحتاجين والفقراء سيكونون فقراء يوم القيامة، أما الذين ينفقون كذا وكذا فلن يكونوا فقراء يوم القيامة) إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ". (صحيح البخاري) (أي الذين ينفقون

في سبيل الله على هذا النحو هم قلة. المؤمن الثري لا ييخل، بل ينفق في سبيل الله بلا خوف ثم يعطيهم الله تعالى أكثر فأكثر باستمرار)

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. (صحيح مسلم)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِعَدُوِّهِ.

يروى عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ الْعَصْرَ فَأَسْرَعَ ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَرَجَ فَقُلْتُ أَوْ قِيلَ لَهُ فَقَالَ: "كُنْتُ حَلَفْتُ فِي الْبَيْتِ تَبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ فَقَسَمْتُهُ". (صحيح البخاري)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاهِمُ الْوَجْهِ. قَالَتْ فَحَسِبْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ وَجَعٍ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا لَكَ سَاهِمُ الْوَجْهِ؟ قَالَ: "مِنْ أَجْلِ الدَّنَائِرِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَتَتْنَا أُمْسٍ (ولم ننفقها) أُمْسِينَا وَهِيَ فِي حُصْمِ الْفِرَاشِ". (وحيث تذكرتها قلقت بشأها بشدة)

عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجْرٍ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَحَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: "ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يُحْسِنِي (من ذكر الله) فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ". (صحيح البخاري)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "كان النبي ﷺ يوجد بكل ما كان يملكه، وذات مرة لم يكن في بيته إلا خاتم فوزعه أيضا". (الملفوظات، المجلد ٣)

يقول سيدنا المصلح الموعود عليه السلام في بيان الحادث نفسه: ذات مرة جاءته عليه السلام أموال الصدقة، فسقط دينار منها في بعض زوايا بيته عند التقسيم، فنسي أن يلتقطه. ثم تذكره بعد فراغه من الصلاة. فخرج إلى بيته مسرعًا يتخطى رقاب الناس. فقال له الصحابة يا رسول الله، ما الذي حدث؟ قال عليه السلام: نسيت دينارًا من الصدقة في أثناء توزيع الأموال، فأردت أن أوزعه أيضًا بأسرع ما يمكن. فرغم كثرة المال والثراء أبدى عليه السلام استغناء عن المال بشكل محير. فكلما أتاه مال وزعه في سبيل الله تعالى.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: "انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ"، وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَحَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي (يوم بدر) وَفَادَيْتُ عَقِيلًا (أي عقيل بن أبي طالب، وهو ابن أخ العباس عليه السلام) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "حُذِّ فَحْتًا فِي تَوْبِهِ" ثُمَّ ذَهَبَ يُقَلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ بِرَفْعِهِ إِلَيَّ قَالَ: "لَا". قَالَ فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ قَالَ: "لَا". فَتَنَّرَ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقَلُّهُ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْمُرْ بَعْضَهُمْ بِرَفْعِهِ عَلَيَّ قَالَ: "لَا". قَالَ فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ

قَالَ: "لَا". فَتَنَّرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتْبِعُهُ بِصَرِّهِ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا، عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ. (صحيح البخاري)

كان النبي ﷺ يوصي الصحابة ﷺ بالاعتدال دائما. وفي هذه المناسبة أيضا قال ما معناه: حسنا، لقد أعطيتك مالا، ولكن خذه بالاعتدال، ولا بد من الاعتدال حتى وإن كان الآخذ من أقرب الأقربين. خذوا بقدر الحاجة، ولا ينبغي الآخذ أكثر من ذلك.

وقد قال الراوي في نهاية الرواية إن النبي ﷺ تعجب من حرصه. ولكن هذا انطباع شخصي من الراوي. لعل النبي ﷺ ما كان ينظر إليه تعجبًا من حرصه، بل ربما استحضر ﷺ في ذهنه تلك الأيام العسيرة التي مرَّ بها الصحابة سابقا من الفقر والفاقة، وراح يتأمل في ذلك، فأطال النظر إليه وهو ذاهب، واضعا في الحسبان مقدار ما قدَّم الصحابة من تضحياتٍ جسيمة. فكيف كانوا يعيشون حياة الفقر في الماضي، وكيف أكرمهم الله الآن. وقال الشارحون أيضا إن هذه فكرة الراوي نفسه، وأن النبي ﷺ لم يستغرب من حرصه، وذكروا أفكارا أخرى.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لم يُسأل قط شيئا ورفضه. وَقَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيًّا لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أُعْطِيَ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَيْثَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَعَتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا. (سبل الهدى والرشاد)

قال سهل بن سعد ﷺ جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، (وهي نوع من الرداء) وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاَجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسِينِيهَا. فَقَالَ: نَعَمْ. فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَطَوَّأَهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، (أي غير ﷺ اللباس واستبدلها بأخرى). فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. (صحيح البخاري)

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْبِيَّةً ° وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ (لابنه): يَا بُنَيَّ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ (فالراوي المسور)، قَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ (إذ دخلتُ إليه لأني كنت صغيرا وأخبرته أن والدي قد جاء)، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا، فَقَالَ: «حَبَأْتُ هَذَا لَكَ» (فقبل أن يشتكي سلم له ذلك القباء قائلًا كنت قد خبأته لك) قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ (وقال هذا القباء لك، أي مخرمة) فَقَالَ: "رَضِيَ (بذلك) مَخْرَمَةُ". (صحيح مسلم)

وفي رواية: عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ (أي مخرمة) فَخَرَجَ وَمَعَهُ قَبَاءٌ (فبدلا من أن يدخل إليه ابن مخرمة خرج

° القَبَاءُ : ثوب يلبس فوق الثياب والجمع أقبية.

بِنَفْسِهِ) وَهُوَ يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ وَهُوَ يَقُولُ: "حَبَأْتُ هَذَا لَكَ حَبَأْتُ هَذَا لَكَ". (صحيح مسلم)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (صحيح مسلم)

قد ورد تفصيل ذلك في موضع، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ يُحَدِّثُنَا فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَامًا حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ فَحَدَّثَنَا يَوْمًا فَقُمْنَا حِينَ قَامَ فَنَظَرْنَا إِلَى أَعْرَابِيٍّ قَدْ أَدْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ فَحَمَرَ رَقَبَتَهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ رِدَاءُ (النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ) حَشِينًا فَلَمَّا التَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ. (فقد تكلم بوقاحة)، فقال الراوي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (فقد استغفر الله وقال لا) لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبَذَتِكَ الَّتِي جَبَذْتَنِي" (فهو لم يرفض مطلقا وإنما اشترط أنه لن يعطيه حتى يقيده من جبذته، إذ قد جرح رقبته ﷺ) فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَهَا، (لأنك لا تجزي السيئة بسيئة، فكان ذكيا فاستخدم هذه الحيلة)، فضحك النبي ﷺ وقال لعمر ﷺ: "احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرًا". (أي حمل كليهما، فلم يعطه المال فقط بل قد عفا عن اعتدائه أيضا). (سنن أبو داود)

قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا"، فَفُضِيَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، (ثم جاء المال أبا بكر ﷺ)، فَأَمَرَ مُنَادِيًا (أن يعلن): مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ، فَفُتْمْتُ فَفُتْمْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا" فَحَتَّى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً (بضم يديه)، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَ: حُذْ مِنْ لَيْسَ بِهَا. وكان طلحة بن الحُضْرَمِيِّ الذي كان النبي ﷺ قد عينه عاملا على البحرين، قد بعث ذلك المال، وظل حضرة طلحة يشغل هذا المنصب حتى بعد وفاة النبي ﷺ. عن هارون بن رباب، قال: قدم على النبي سبعون ألف درهم، وهو أكثر مال أتى به قط، فوضع على حصير، ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منه. (أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني)

هذا ما ورد في هذه الرواية، لكنه قد جاء مال أكثر من هذا أيضا، وربما كان أكثر مال في علم الراوي، أو كان أكثر مال حتى بيان هذه الرواية، لأن ما ورد في الرواية السابقة عما جاء من البحرين من المال كان أكثر من هذا بكثير.

وعن أبي هريرة ﷺ أتى رجلا النبي ﷺ يسأله، فاستلف له رسول الله ﷺ من شخص نصفَ وَسَقٍ من الغلال، (الوسق يساوي حوالي صاعين ونصف صاع، والصاع يساوي كيلوين ونصف كيلو) فجاء الدائر

يتقاضاه فأعطاه النبي ﷺ وسقًا وقال: "نصفه قضاءً ونصفه نائل"، أي هدية له مني.

يستلف النبي ﷺ من شخص وسقًا ونصفه من الغلة ليؤتيه السائل، ثم عند الأداء يؤتي الدائن وسقًا كاملاً. هذه هي الطريقة المثلى لتسديد الدين، وليس أن لا يدفع المرء الدين بل يسوف ويماطل في أدائه.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةً أَمَّارٍ صُوفٍ أَسْوَدَ، فَلَبَسَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ فِيهَا إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هَذِهِ مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي هَبْنَاهَا لِي. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا أَبَدًا فَيَقُولُ: لَا. فَقَالَ: "نَعَمْ"، فَأَعْطَاهُ الْجُبَّةَ.

وهناك رواية جميلة، عن ابن عمر يقول: اشترى رسول الله ﷺ من تاجر بزاز قميصًا بأربعة دراهم، فخرجه وهو عليه، فإذا رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله ﷺ: اكسني قميصًا، كسأك الله من ثياب الجنة. فنزع القميص فكساه إياه، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصًا بأربعة دراهم، وبقي معه درهمان (كان معه ﷺ عشرة دراهم وقتها، فاشترى قميصًا بأربعة دراهم، ثم قميصًا آخر بأربعة دراهم، فبقي معه درهمان). فإذا هو بجارية في الطريق تبكي، فقال: "ما يبكيك؟" فقالت: يا رسول الله، دفع إلي أهلي درهمين اشتري بهما دقيقتي، فهلكا (أي ضاعا). فدفع النبي ﷺ إليها الدرهمين الباقين. ثم ولت وهي تبكي. فدعاها فقال: "ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين؟ فاذهي الآن واشتري الدقيق". قالت: أخاف أن يضربوني (أي لقد تأخرت وسيقولون لي أين كنت). فمشى النبي ﷺ معها إلى أهلها، فسلم، فعرفوا صوته، فصمتوا بدلاً من أن يردوا عليه السلام. ثم عاد فسلم، فظلوا صامتين، ثم عاد فثلث فردوا عليه السلام. فقال ﷺ: "أسمعتهم أول السلام؟" قالوا: نعم، لكن أحببنا أن تزيدنا من السلام (أي أن تسلم علينا مرارا). لهذه الدرجة كان الصحابة حريصين على دعاء النبي ﷺ بالسلام لهم) ثم قالوا: فما أشحصك بأبينا وأمنا يا رسول الله؟ قال: «أشفقت هذه الجارية أن تضربوها». فقال صاحبها: فهي حرّة لوجه الله لممشاك معها. فبشرهم نبي الله ﷺ بالخير والجنة، ثم قال: «لقد بارك الله في العشرة دراهم هذه: كسا الله بها نبيّه قميصًا، ورجلاً من الأنصار قميصًا، وأعتق الله منها رقبة أمة».

أهدى عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ عنقود عنب، وقيل عدق تمر، فجاء سائل فأعطاه. ثم اشتراه عثمان من السائل بدرهم، فقدمه إليه عليه الصلاة والسلام ثانيًا، (يبدو أنه كان عبدا أو تمرا ذات جودة عالية). فعاد إليه ﷺ السائل فأعطاه إياه ثانية، وهكذا ثلاث مرّات، في كل مرة كان عثمان رضي الله عنه يشتره ويهديه للنبي ﷺ، وكان السائل يأتيه في كل مرة ويسأله إياه فكان يعطيه في كل مرة. ثم قال عليه الصلاة والسلام للسائل مُلَاطِفًا: "أسألك أنت يا فلان أم تاجر؟" أي جئتني سائلا ولكن تصرفك هذا ليس تصرف السائلين، إذ تسأل وتكسب الدراهم بما تُعطى، فهذا ليس سؤالًا إنما هو تجارة. فلم يرفض النبي ﷺ طلبه ولكنه نصحه بأسلوب حكيم بأن تصرفه غير لائق.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: مَا مِنْ عِلْمَاتِ النَّبُوءَةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ غَضَبَهُ، وَلَا تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا. فَكُنْتُ أَتَحِينُ الْفُرْصَةَ لِأَخْتَبِرَهُ بِهَذِهِ الْعِلْمَاتِ (كَانَ يَرِيدُ اخْتِبَارَهُ فِي الْخِصْلَتَيْنِ فِي كُلِّ حَالٍ) قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا مِنَ الْحُجْرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ (أَيُّ كَانَ يَبْدُو قُرُوبًا) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ بَصْرَى قَرِيبةٌ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمْ الرِّزْقُ رَعْدًا، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْعَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ. فَنَظَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أَرَاهُ عَلِيًّا رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ شَيْءٌ لِيُرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَوْرًا. قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ (وَكَانَ زَيْدٌ وَاقِفًا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم) فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وسلم هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَا يَهُودِيُّ (عَلِمًا أَنَّ زَيْدَ بْنَ سَعْنَةَ كَانَ يَهُودِيًّا)، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تُسَمِّي (أَيُّ لَا تَشْتَرُطُ) حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ". قُلْتُ: بَلَى، فَبَايَعَنِي، فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي (أَيُّ صُرَّةَ نَقُودِي)، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرِ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا. (الْمِثْقَالُ يَسَاوِي حَوْلِي أَرْبَعَةَ جَرَامَاتٍ وَرَبْعَ) فَأَعْطَى (النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم) الذَّهَبَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ طَالِبًا الْمُسَاعَدَةَ، وَقَالَ: اعْدِلْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْكَوبِينَ وَأَعِنَهُمْ بِهَا. فَقَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجْلِ لِلْسِدَادِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَثْنَيْتَيْهِ صلى الله عليه وسلم) فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرَدَّائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وسلم حَقِّي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَسِيئَ الْقَضَاءِ مَطْلًا، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ (مَعَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ مَطْلٍ وَتَسْوِيفٍ، إِلَّا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَكُنُّ فِي قَلْبِهِ الْعِدَاوَةَ أَوْ كَانَ يَرِيدُ اخْتِبَارَهُ صلى الله عليه وسلم. عَلَى آيَةِ حَالٍ، قَالَ:) وَنَظَرْتُ إِلَى عَمْرِ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا هُنَاكَ. فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدَوْرَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصْرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَسْمَعُ وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَحَاذِرُ قُوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إِلَى عَمْرِ بَاطِمَتَانِ وَتَبَسُّمًا. ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: "يَا عَمْرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحَسَنِ التَّقَاضِي. يَا عَمْرُ، خُذْهُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ".

فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عَمْرُ؟ قَالَ: أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا نَقَمْتُكَ. قُلْتُ: أَتَعْرِفَنِي يَا عَمْرُ؟ قَالَ: لَا، لَا أَعْرِفُ. قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ. قَالَ: الْحَبْرُ - يَعْنِي الْعَالِمَ الْيَهُودِيَّ الْكَبِيرَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْعَالِمَ الْيَهُودِيَّ. فَقَالَ عَمْرُ: كَيْفَ اخْتَرْتَ هَذَا الْأَسْلُوبَ فِي إِسَاءَةِ الْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْتَ عَالِمٌ كَبِيرٌ هَكَذَا؟

قلت له: يا عمر، لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فقد اختبرتهما فأشهدك يا عمر أنني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرهم مالًا - صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال عمر ﷺ: قل على بعضهم، فإن الأمة لا يُمكنُ حصرها، فكيف يمكن أن يكفيهم المال؟ قلت: صدقة على بعضهم.

فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وآمن به. فهكذا صدّقه زيد وبايعه وشارك معه في عدة غزواتٍ، ثم توفي زيد في الطريق إلى غزوة تبوك.

كان عالما يهوديا، حسنَ السجية، فأسلم عندما رأى النبي ﷺ بعد أن تبَيَّنَ له صدقُ جميع العلامات. وهذا من حُسن خُلُقهِ ﷺ إذ لم يكتفِ بإنقاذِ قومٍ من الجوع بأخذ قرضٍ، بل استطاع أيضًا بأخلاقه الكريمة أن يجعل عالما يهوديًا يدخل في الإسلام.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك وسلِّم، إنك حميدٌ مجيد.